

كشف الشبهات

مسألة عظيمة : .

ولنختم الكلام - إن شاء الله تعالى - بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول : .

لاخلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً .

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر عاند كفرعون وإبليس وأمثالهما وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون : هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ولكننا لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم أو غير ذلك من الأعذار .

ولم يدر المسكين : أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى : { اشترُوا بآيات الله ثمنا قليلا } وغير ذلك من الآيات كقوله : { يعرفونه كما يعرفون أبناءهم } .

فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه أو لا يعتقد به بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص : { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } .

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملت في السنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد .

وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا فإذا سألت عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه . ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله .

أولاهما : قوله تعالى : { لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم } .

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول (A) كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المرح واللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية : قوله تعالى : { من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة } الآية .

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان .

وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفا أو طمعا أو مداراة أو مشقة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المرح أو لغير ذلك من الأعراض إلا المكره .

فآلية تدل على هذا من جهتين : .

الأولى قوله : { إلا من أكره } فلم يستثن الله تعالى إلا المكره .
ومعلوم : أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد .

والثانية قوله تعالى : { ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة } .
فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وإنما سببه : أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فأثره على الدين .
والله سبحانه وتعالى أعلم .

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم